الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

إعداد

مكتبة الحرم المكي الشريف

لـؤلـؤة في رحاب الحرم



«لمن تتركنا يا إبراهيم؟!» وهو لا يردّ عليها وقد ولاّها ظهره عائداً.. فما يئست وقد اغرورقت عيناها وحشرج صدرها، وهي تفكّر في كلّ حيلة وتحاول بكلّ وسيلة أن تأنس منه بكلمة.. وعندما لم تحظَ بجواب!

توقفت فجأة في مكانها - وقد ألهمها ربّها - لتسمع الدنيا كلمة الإيمان، ولتثبت للبشرية قوّة المرأة الموحّدة..

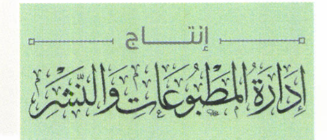
فقالت وهمتها تعلو رؤوس الجبال: «آلله أمرك بهذا؟!» فقال إبراهيم عليه السلام برأسه: «أن نعم» فردّت عليه بأسمى ثقة وقد تحوّل خوفها فجأة إلى ثبات وطمأنينة - لا تعرفها إلاّ القلوب المؤمنة - وتحوّل ضعفها إلى قوّة وشجاعة، فقالت: «إذاً يا إبراهيم والله لن يضيّعنا الله أبداً!!» فربّ إبراهيم وحده هو من يكلأها وطفلها بين هذه الجبال والقفار الموحشة، فهي لا تحتاج بعد هذه الكلمة لا إلى إبراهيم ولا إلى غيره مادام معها الله - جلّ في علاه -.

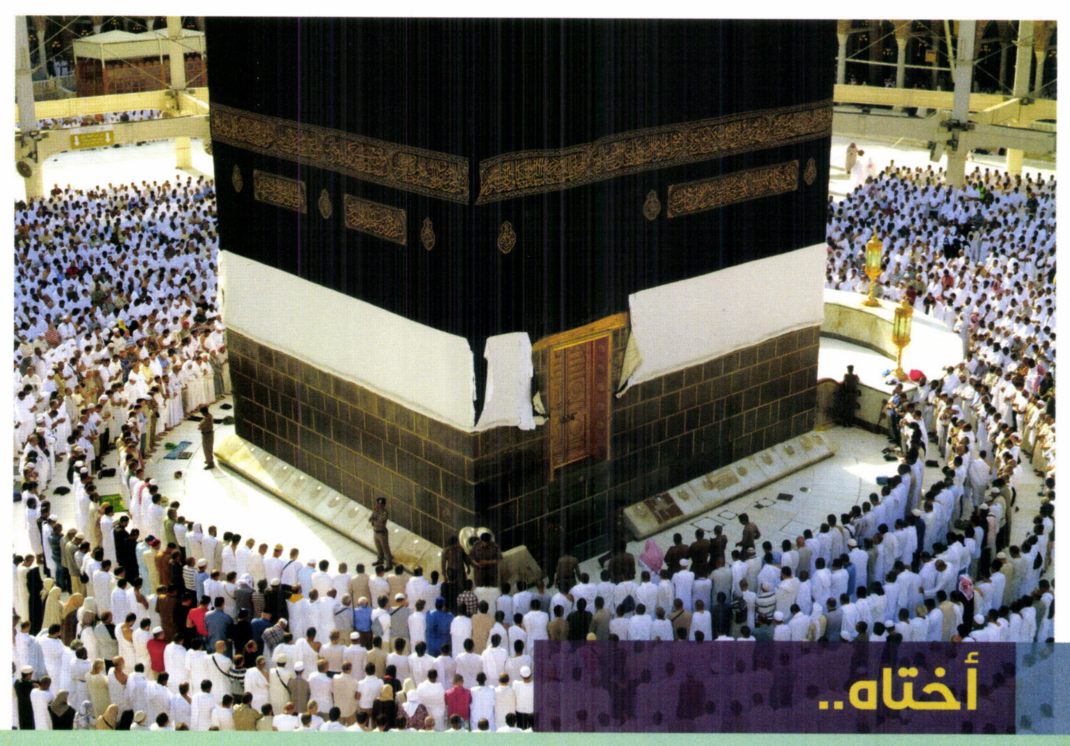
أختــاه..

هذه أنموذج للمرأة المؤمنة التي مُلئ قلبها بتوحيد خالقها وبحبه المطلق والتزمت بأوامر دينه العظيم! ففي كل زمان يبعث الله أمثال (هاجر) عليها السلام، لتكون نبراساً وأنموذجاً حيّاً لبني جنسها، فكوني (هاجر) زمانك يا من وقفت على تاريخها في حرم الله!

أختاه.. كم هو جميل وعظيم، أن تسجلي صفحة في تاريخك بيضاء قبل أن تغادري (رحاب الحرم) وتعقدي العزم للعودة والأوبة إلى ربّ هذا البيت العظيم، وتجعلي شعارك دائماً وأبداً في الحياة:

(آلله أمرني بهذا..؟ إذاً لا يضيِّعني الله أبدا)..





أختاه..

ها أنت وقد شرّفك الله بدخول المسجد الحرام.. ولسانك وقلبك وكل جزء من جسمك يلهج بالحمد والثناء أن وفقك الله لفضل انقطعت دون بلوغه أماني الكثيرين في العالم، وهم يتمنون أن يحظوا بنظرة واحدة لبيت الله العظيم.. فاحمدي الله!

خطوات تجاه صحن المطاف! وستقفين على أروع تاريخ

للمرأة دورها العظيم في بناء الأمم!؟ تخيلي وأنت واقفة أمام عظمة هذا البيت العتيق!! تلك المرأة العظيمة التي بين كفّيها شيّدت هذه الحضارة التي يشهدها الناس في كل يوم من كلّ فجّ عميق!! وبسواعدها وقوّة شكيمتها وإيمانها الراسخ عمّرت أطهر بقعة اختارها الجليل - سبحانه - على وجه الأرض!؟ تقفين بقرب ماء زمزم (أفضل ماء على وجه الأرض) وتستشعرين عظمة تلك المرأة وهي تحوط بسواعدها ماء الحياة من تحت قدمي رضيعها الصغير في أرض صحراء (غير ذي زرع) وتقول: (زمّي زمّي!).. بحق إنّها لحظة عظيمة رسمت مساراً جديدا في تاريخ الرسالات والحضارات، وكنزت ورائها للأمّة إرثاً عظيماً من إرث أبينا إبراهيم عليه السلام.

لتتوالى بعدها السنون والأعوام وتتعاقب الأمم والأجيال، ويبعث الله على ثرى أرض مكة المباركة أفضل خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليكرم الله تلك المباركة، فيخرج من نسلها حفيداً يسود البشرية (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)..

إنها تلك (الأم).. التي أكرمها الله لأداء رسالة الأم الخالدة وهي تربية الأجيال على هدى وإيمان.. ولنا أن نتأمّل كيف أكرم الله حتى خطى تلك الأم لأجل سعيها وجريها بين جبلي الصفا والمروة من أجل سدّ رمق وليدها بقطرة ماء..

فكم عزّت وجلّت عند الله سبحانه وتعالى تلك الآهات والزفرات بأرجل حافيات، فأكرم الله تلك الخطى المباركات، بأن جعل موقع سعيها مكان عبادة!! تهوي إليه أفئدة الناس والأمم عبر الزمن (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا).. فلا يصحّ منهم حجّ ولا عمرة حتى يسعون متذللين، حفاة، حاسري الرؤوس، متجردين من المخيط، في مكان سعي تلك الأم.. ليستشعر كل من يفد إلى مكّة حاجة تلك المرأة الضعيفة.. وكيف تحوّلت بعقيدتها وتوحيدها بربها إلى رمز كرامة للمرأة الربانية على مرّ التاريخ..

إنّها تلك (الزوجة).. الوفية الرضية الطاهرة العفيفة..

التي رسمت بمواقفها أنموذجاً مثاليّاً للزوجة المؤمنة، فكانت رمزاً خالداً في سماء المجد إلى قيام الساعة..

قفل (إبراهيم) عليه السلام راجعاً بعدما ترك زوجته (هاجر) عليها السلام وابنها (إسماعيل) عليه السلام في بطحاء مكة الموحشة وترك معهما جراب تمر وجراب ماء فما كان منها حين أدركت مصيرها ومصير ابنها، إلاّ أن تمشي خلف زوجها وتحمل بين كفيها طفلها الرضيع البريء!! وهي تسأل في إلحاح: